

## أنطولوجيا الشعر الروسي الحديث (الجزء الأول)

ترجمة وتقديم: عبد الله عيسى\*

يصعب كثيراً ملاحقة الحركة الشعرية الروسية، فالولادات غزيرة، وحركيتها في تصاعد لا ترق، والإضافات الجديدة على المنجز ترسخ، وإن بدا تحديد ظواهرها وملامحها يُشرف على العصيان والتردد. ثمة أسماء مهمة، لا شك، حفرت صوتها الخصوصي في مجرى الفصل والمشهد الشعري الروسي العميق؛ لكن جلّها، كما يهَيءُ، لا يزال خارج الانصياع لتأثيرات التيارات الخارجية الأخرى، فالمبدع الشعري الجديد هنا لا يفترق عن المنجز، وإن بدا غير منحاظ تماماً إليه، بل يخلق مداراته في فضاءات مستقبلية أسس لها. لا بُدَّ من أن مقاربتني لهذه الأسماء المُقترحة، كجزء أول من أنطولوجيا قادمة في أعداد أخرى، مرتبهة بذائقتي ومعرفتي بها، الأمر الذي سهّل عليّ إلى حد كبير تقديم عوامها الشعرية بأمانة على الهيئة المقدمة هذه.

سفيتا كريلوفا

مواليد 1970. خريجة معهد الآداب، نشرت مجموعتها الأولى في مطلع التسعينيات، تعمل مديرة نشر في إصدارات «أرغوميتني أي فاكتي» واسعة الانتشار. من مجموعتها الأخيرة «الجمعة السابعة» هذه المقتطفات:

### I

اعتدْتُ على اسمك،  
كما صورتني في المرايا أو الماء.  
لكنّما هاء لي،

كلّ هذا ليس لي ،  
كلّ هذا ليس لأجلي .

ذاتٌ مُنْشَطَرة؟ زنى الرّوح  
الغاطسة ، على عجل ، في جسد غريب؟  
هذيان بلا غفران ، أم الخطيئة؟  
أم أن الأشياء اختلطت على الربّ؟

فجأةً ، لا أعرفُ اسمك  
(أركبُ ، في العتمة ، كي أحفظه)  
لا أرى في المرأة ما أرى -  
أحلامَ طفولتي رعبٌ أعمى .

## II

الحياةُ كُلُّها - كالحشر حول المائدة  
في البدء التّعجرف ، فاللهو  
ثمّ يضلّ اختيارك عنك :  
مع من تتقاسم السرير؟

وعلى عتبات السّتين - الصحوة من السّكر  
تذهبُ لليوم ، كما لشراء البيرة  
وما حييت  
تقسّمه الآن ، بغنج ، في التفاصيل .

وبعدُ - الحياةُ ليست جديرة كما ينبغي .  
كلّ شيء سوف يحدث  
تذكر المائدة  
والشاي بالليمون ! .

## III

تطول الليلةُ ، الليلةُ لا تنتهي  
ليست على صدفةٍ . ضرورة هذه الليلة ، سرّية .

والروح يقلبها الأرق .

وحده القمرُ المكتملُ يعرفُ السرَّ .

لماذا أنا وحدي؟ والليلةُ تأخذكم بالنوم  
لا فتَحُ الفألُ بالنجوم على النافذة .

أراكم . جميلون أنتم .  
تارة في الأصفر ، وفي الأحمر أخرى .  
الشیطانُ يُبدلُ الهيئات .

القمرُ المكتملُ وحده يعرفُ السرَّ .

#### IV

تتخفى الشمس في ظلال الغمامات .  
تكتبُ الأفلاكُ .  
الحياةُ المكيئة ، بعدُ ، ممكنة .  
قالت لي الأصوات .

من أنا؟ . ومن أين جئتُ؟  
ولم أنا بشرٌ؟  
كأن أخير لي لو كنت ناقة  
لا أنساك إلى أبدٍ لا يُحدُّ .

تخرج الشمسُ من معطف الغمامات .  
تتوشحُ الأفلاكُ بالضوء .  
حسنٌ أني هكذا . أخبرني العينان .

#### V

أموتُ . يموت معي الكون  
حتى آخر النجمات .

العالم المُخْتَلَقَ على هزء  
من الابتسامة، فالدموعُ، حتى الأحلام .  
إذا مات معي عالمي  
تفنى صورتك، أيضاً .  
تغدو سواك  
يطوف الحشدُ حول عينيك  
أزرق - أزرق، أعمى، أعمى .

ولكي يعيش مثالي  
من الذي تعبتُ  
سأحيا . وأحلم  
بعث العالم من الحلم .

\* \* \*

فيتشسلاف أنانيف

مواليد العام 1965 . بدأ النشر في منتصف الثمانينيات . من مجموعته «ضيف» التي صدرت العام 1993 ،  
هذه القصائد :

I

الإطار الصغير، الإطارُ الفضيّ  
في اليد الممحوّة بالأخاديد والانتفاخات .  
أسرفت في تبذير حُسْنِها .  
مضتْ، على خفّة، في المرّ الطويل .

في المرّ الخريفيّ -  
روحٌ هادئةٌ مطمئنةٌ  
تفكرُ بالذي مضى . بما تعتق في الذاكرة .

بحفر تنفخُ في مرآة اليد  
مشت . بالشيخوخة الخافية ،

مع كل خطوة تدنو .  
خشخششت الأوراق . تمددت الغيمة في السماء  
لكن ، لا مطر بعد .

## II

حليب الأم حزنٌ مضى  
في قلبي ، كما في حديقة بيضاء .  
أخراً ، يا أم ، على صدرك  
منتظراً شيئاً ما . . سحرياً .

في كل مدارج عمري  
يتوقدُ إلهامُ النار!

فليشرق ، إذاً ، وطني الحبيب  
في هذه الأيام الطارئة المعتمة .

تكلُّ خلف اليوم ، تنهدُ .  
هكذا ، وحصارك لا كما تشتهي  
تخرُّ على الوسادة ، تفيق .  
خلف النافذة يلوح الثلج .  
رقيقةً ، لوجه أكتوبر ، غالية  
احتضان السعادة الكآبة -  
في المروج الغمار العابقة واقفة  
وعابسة الأكمات العاريات .  
نارُ التذكريت مسّت كل شيء .

## III

صليبٌ أزرق على القبر .  
الطيور تحلق طراً على المقبرة .  
أعودُ ، كما ينبغي ، للمثول بين يديك الكريمتين .  
أمي الحنونة ، كيف تنامين؟

أُتسمعين؟ . ثانية عاد إبريل  
عابراً كل هذي الزوايع . كل العواصف  
لوحتة ملونة  
على سريك الأبدى .

تعود الحياة كما تشتهي من جديد  
أيتها الأم . هل تسمعين . عادة تزوريني في الحلم .  
الدمُ المجنونُ يطفرُ في الفؤود  
علك في زمن ما ، فجأةً ، ترجعين .

#### IV

أنت! مخلوقة من طراوة شمس الربيع  
فكيف مثلك ألا تعانق؟  
تضحكين ، ومثلك ، الشمسُ تضحك  
والأوراق الخضراء تُصفرُ .  
كيف تحرقتُ بالشمس ركبتاك!  
تصرخين بي : «اخلع قميصك»  
تتمرجحُ الثريا الليلكية  
كي تنير مايو الجذلان .

تُغني البلابل بما لا يُحدّ . تُغني  
وعيناك في السديم الشفيف  
لا تهني ، طيلة اليوم ، السكينة .

#### V

الشاعرة الوحيدة .

كُتبتُ عن المروج ، عن الغيوم والضباب  
أنّ الأرض العتيقة مأخوذة بالكآبة والخديعة .

بالحسّ الغلابّ، بالإشراق، بالفصاحة ذاتها!  
رَبَّتْ موسيقاها، مثلما كرمة عنب.

ينحدر الشال، بلا فحيح ضجيج، عن الكتف  
الملل الفاتك مسّ الركبتين البيضاوين.  
لكنّ الشمعة صارت أقلّ  
واتسعت الليلة.

## VI

روسيا! أحبّك حتى الدموع!  
أحبّك في الطريق عبر الدّمدمات والرّنين،  
موكبُ الحور المتألّئي  
خلف النافذة قطارُ جار.  
أحبّك كتلك. كلّ ذوبك  
ربيعك الدافئ، وخريفك المائل للبرد.  
عندما الحزن والعنمة على الأبواب  
وحياتي في الأسر عند موسم تساقط الأوراق.

عندما يتمدّد الأفق بما يحيط!  
الغمارُ، كالأصنام، منتصبّة في الضباب.  
طريقي بعيد. وصليب ثقيل  
لا يُلطفُ حبي بالخديعة.

\* \* \*

أسيل عمر

مواليد العام 1973. روسيّة من أصل كازاخي. خريجة معهد الآداب. عملت محررة في مجلة «الأجيال الجديدة». تنشر في الصحف والمجلات المتخصصة. من مجموعتها الأخيرة «أنا أو من» هذه المقطعات:

## I

أعودُ إلى البيت . أزرقُ ضوءُ المصابيح .  
مرتعدات مراكز التفتيش وسط الأكاسيا .  
وبلحن بسيط ، في الممرات المسائيّة  
المرسومة بين صفّين من الأشجار  
يُسمع ما نسي من الماضي .

فجأةً ، تكتب شبكة الأسلاك هذا الموسم  
على الشوارع ، حيث صفير قطارات الليل  
وريح سبتمبر آيلة بخلاياها الطازجة  
لاقتحام دخان أغسطس المرّ .

الموسيقى تعجُّ في الزوايا .  
بقايا دفاء الصيف تصطلي فجأة على إيهاءات الكمان .  
تتعبُ القطارات . تضيء الشوارع برمشة عين  
تُطلق صفرتها الأخيرة ، وتنسل إلى عنابرها .

## II

(إلى ضحايا وقائع ديسمبر في ألمات 1986)

مرحباً وطني . التحياتُ أيتها العاصمة!  
وطني! دَعَكَ . لا تقطّب الجفنين المستورين بالشيب  
ودَعْنِي أرتوي بعد الطريق من النهر  
وأفرش الميدان بالجوخ من أجلي .

مرحباً وطني . التحياتُ أيتها العاصمة!  
رُبّما على عجل ينفجرُ الخطاب المُفرّقع  
المفاجأ برنين الهاتف .

عرفتُك يا وطني النبيّ  
برطانة شفاه العذراوات

بطبيعتك الشحيحة، الشجيرة  
أنا أذكرُ كل هذا، وأنا أصلي .

أنا أصلي، كي توفّق، يا وطني العذب  
وبالتهافت المفتوح، الضئيل  
يسحرنني،  
بالمستحيل المرعب، جمالك  
يُحاصرني .

يخطى الرسول الخفيفة  
أقف على عتبات المعبد  
بروح تتجلى، وابتسامه الحكيم .

### III

عندما نعشق  
الحب يدرك هذي السماوات .  
لكننا مطمئنين نيكلي  
على راحة الحبّ  
معتصمين بوجه الحبيب

وفي لحظة الموت هذه  
قد نشتهي الموت هذا معاً .

### IV

هَيِّئِ الشِّعَاع . غَضِبُ النُّهْرُ  
ظِلُّ الزَّمْهَرِيرِ . لَيْلَةُ الْحَمِيَّةِ .  
تدور  
برودة الأيدي الملاقيات - المؤدّعات  
الكرة الأرضية تحتي  
تدور .

## V

بالحزن المكين . تشحبُ النجوم . بالحياء المريب  
تتوارى الغمامات الرخوات ، الغمامات ، الكسولات .  
رائحةُ الغابات المحلات الغلابات ،  
بالقلق الناشب  
مالت عليّ من ظلمة الوجود .  
الذؤابات اندلعت وخبت . ذؤابات الذاكرة  
الغريبة ، متشابكة تنطفئ .  
دبّت على فروع الذاكرة .

\* \* \*

أندرانيك نازارتيان

## I

لم يكن شباط كذاك .  
لم يجرى شتاء كذاك على هذه الأرض .  
الشتاء الضاري ، كأنما كان يعرف  
منذ بدء الجموح والتضوّر أفتى  
لن يكون لأحد هذا الغفران :  
لخائن الآخر المّشود .

وسيحلُّ عليه :  
أن يعض الثلج من ألم  
ويهرب من نفسه بحثاً عن خلاص .  
في الليل ، في القطارات  
على غير هدي الجهات أو المواعيد  
بصمت مع الراحلين المخمورين  
وشبح في الأماكن الموحشة .

لا الكحول تكفي ، ولا النار

لا الهواء  
للحياة حتى السحر .

كوايبس «غريت» الطفلية  
تجدني في العربة الصماء  
أنا الباحث عن الحياة الوحيدة  
النابضة في رقبتها عروق الحياة ،

الحديد يضغظ على رأسي  
الضاري ، مرضي  
الوحشي -  
الذئاب تعوي ،

وإذا متُّ في الفجر  
لن يكون هناك ، إذا ، ألم  
أو حبّ على الأرض .

## II

فَلنظُرْ إلى كندا .  
أشترى طائرةً ، وأسافرُ  
مع اليهوديِّ الأحذب المهووس إلى يهوذا  
الذين في انتظار المرتديلا وكرع الكحول  
وكل الأساطير الشعرية عن آل فرساي الأشرار  
وشاطي سان فرانسيسكو .

سأذهب ، والله ، تحت السماء  
وسأفكُّ اللغزَ - من المنحوس في هذا النحس :  
إسباتي يطارد الزعيم الحزبي ، والكبة  
تلاحق الشاعر الديناري في الشقة الجماعية السقيمة .  
في المربول المخيط له النحاس تبقى ما يريقُ ،  
وشحّه أشبه بئس النحاس الذي لا يُحل ،  
كسرة خبز والجارة النحيلة لليلة

كسرة خبز وقطعة دهن خنزير رقيقة مقطّعة بركة .  
وفي الصباح ، سيكون كربٌ بعد أيام الخلق  
مُمسكاً رأسه ، ضارباً نفسه بصدرة الأبيض  
داباً الصوت في وجه هذه العاهرة الصماء : من الحكم؟

ثم : «إسمعي . . هذا شعر . . »  
ويبدأ : من أهدود النفايات نظير إلى كندا  
مع اليهودي الحدب المهووس إلى يهوذا  
الذين في انتظار المرتديلا وكرع الكحول  
وكل الأساطير الشعرية عن آل فرساي الأشرار  
وشاطئ سان فرانسيسكو .

### III

نهارُ العاصمة ، اليوم ، عاديّ ، بما يُفجعُ .  
لا ربح ، كتلك التي حدثت من قبل في هذا الوقت ،  
متأرجحة على الجسر المُرتجّ  
نافخة الأشربة ، حارسة الكريملين .

النهارُ الحكوميّ ، نهارُ حكّام المدن الثلاث - الجرذان  
الذين أتوا ، مثلما تتذكر ، لكنهم لا يستطيعون الذهاب  
بقوّة أنهم امتصّوا قوّة  
ليس لها أن تنتشلهم ، وليس لهم أن يأخذوا بيدها .

النهارُ ، حيث أفقت منتصف اليوم ، متكناً على الحائط المائل  
كالمتفجّر من تحت الماء . بيّ رغبة أن أعني أين أنا  
النهارُ ، حيث لزاماً أن أفكر بابني . . وبك  
عنواني ، كما قلت من قرن ، أنا .

وأنا أهزأ من هذه الكلمات ، أتبسّم ، أهمسُ  
إلى أين . . وأنت ، الآن ، تحتضنين أغلى صديق في ماضي .  
وهذا ليس يعني . . النهار ، عندما لا أريدُ  
لا أريدُ جدوى أي شيء . خاصةً هذا الخبط . .

تمرّ الأبدية . الأبدية على الأقلّ  
وسيكون عليّ النهوض ، الإفطار ، ثمّ الصلاة  
الخروج من البيت ، الوصول إلى المترو ، البصاق على الرصيف  
الهبوط ؛ انتظار الريح ، ثمّ السجود .

#### IV

يفنى الشتاء الآن . مثلما من قبل  
أخاف من أحلامي ، العواصف ، الظلال  
كأنّما يهيم لي : لا مقرّ من التحلّق في الكآبة  
نحنُ نهوي على الثلج ،  
السرير الكرساليّ .

لا خلاص لمن - من الخلنج والدمور  
للحبيب اللوبيائيّ ، الذي اختلقت .  
وتنعسُ الليلة ، الليلة تموت ، تتعبُ من الأحلام  
ويبقى المصير . تظلّ النهاية .

لا الصيف ، لا الوجوه ، لا الأصوات  
تذكّرُن ، أيتها الحبيبة ، العواصف تطير  
تلمسُ القُرُون ..  
أي برد! اقتربي براحتيك . تتجمدين .. والثلج .

#### V

لا تكن عليّ عدوّاً ، احتشاد الأحوال والأحداث  
هكذا غاوباً . زمن الخريف هذا في غروب .  
يا إلهي ! أنا الذي أحببت هذه المرأة .  
أذكرُ ، أحببتُها ..  
سوّني أذكرُ . منتصف الليل ، المرأة تدخُلُ .

جالبة البرية على راحتها وفي صوتها .

مالكةً حركة الرياح، وفي صوتها  
كانت وحدة الظل الميت، وظلال الظلال  
كانت عينيها نفسيهما. وفي الليل، رحلتُ  
حملت جامحةً من هنا أفراس البرية . .  
متصفُ الليل هذا، أذكرُ، الأخيرُ  
الذي ارتحل معها.  
ناديتها بأسمائها الأولى  
تلك التي جاءت  
جالبةً على راحتها البراري الجبلية.

\* \* \*

إيلينا إيسايفا

مواليد 1966 في موسكو . خريجة كلية الصحافة في جامعة موسكو . أنجرت «بين العالم وبينك» (1992)،  
«شباب وجميلون» (1933)، «لقاء صدفة» (1995)، «دموع زائدة» (1997).

للمسك، يا سيدي، للمسك  
في العتمة ميممة شطرك.  
مفاجئة جرة القلم على الصفحة،  
النظرة عابرة، والتلوحة طارئة.  
هناك، حيث الضوء - النهار والأكمة  
حيث تنقضي بالغبطة الأيام.

للمسك، يا إلهي، للمسك  
كن رحيماً - اسط يديك.  
لتعفر، أن أتربة الطريق لم تنبسط  
لقدميك؛ ناكرة جميلك  
لا أطيق احتمال أيام «راخيل»  
وبالجسد الفتاك أرمق «ليا»  
كيف أنجبت لك الأبناء،  
شوت لك اللحم على النار.  
رقت لك في الليل، هاءت.

وإن شئت، فلتحنن إذا إليّ، وأنت معها .  
مصيرك آخر . نجوم المساء خبت  
أحدقُ، بلا رمشة عين، في النجمات  
تلوّحها نظراتي .  
ولئلا تتصور روحي من ألم في الصحارى  
يهزأ الأطفال، بالمرايا العمياء .  
لتغفر لي . ربما من كبرياء  
اخترتك، منا نحن الاثنين، عليّ .

\* \* \*

أولغا كوزيل

مواليد موسكو العام 1975 . تخرجت من معهد الآداب . تنشر في الكثير من المنابر . عضو اتحاد كتاب موسكو .

رأيتُ غرفةً أخرى في الحلم .  
غرفة لا تُرى في الأرض .  
حيث سأحدقُ، ميتةً، في السقف المشروخ .  
خلف الحائط، تزلقُ الحائط  
حيث يعصفُ المورفين .  
الطحالبُ الثقيلة على الجدران  
تنبتُ على الأوراق الغبراء .  
هكذا، بعيداً بما لا يُطاق عن المهدي،  
وكأنما رجعتُ حلم .  
مشهد شجرة الشوح بالأنف المعقوف  
على الشباك المرتجج .

لا أهدأ مع صورة الحائط التي بُعثت من جديد  
انتبهت، برأسي المنحناة  
المرأة، بوجهها الألماني  
التفتت إليّ .

الجدران غدت رحيمةً مع السنوات،

مطوطة بصف واحد .  
الكثيفة تشد العروق  
مُلتقى العشق ، وتاريخه .

وتكون الأيام . حيث أنظرُ من النافذة التي فات زمانها .  
حيث أدخن في الصباح وأبكي ،  
وفي الليل أبكي وأدخن .

وفي جنة الأرض .  
يتفتح نسيان الورد .  
فيما صورة الحائط ناعسة تُبعثُ  
لامسة الفراغ الفاني .

---

\* شاعر فلسطيني يقيم في موسكو .